جامعة خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم الاجتماعية

دروس في مادة مدارس ومناهج **من إعداد الأستاذ: عميرات عبد الحكيم**

موجهة للسنة الأولى **الموسم الجامعي: 2022-2023**

مقدمة:

لا بد على طالب العلم في المرحلة الأولى من مشواره ومهما كان تخصصه أن يستوعب الكثير من المفاهيم القاعدية التي سوف تلازمه وتفرض نفسها عليه طوال مسار تكوينه. ترتبط هذه المفاهيم والمصطلحات بالجانب المعرفي الإبستمولوجي ونستطيع مطالعتها ضمن المؤلفات المتعلقة بنظرية المعرفة كما يمكننا العثور عليها وعلى مشتقاتها وعناصرها ضمن مقولات ونصوص الكثير من فلاسفة العلم والمتخصصين في الإبستمولوجيا من أمثال غاستون باشلار، كارل بوبر، توماس كوهن ومحمد وقيدي ومحمد صليبا وغيرهم. ونحن إذ نلح في مقدمتنا هذه على ضرورة استيعاب هذه المفاهيم والتحكم فيها من أجل توظيفها بطريقة صحيحة. فإننا نعتقد أنّ المشاكل والصعوبات التي تعترض الطالب في مشواره التكويني وبالتالي تتسبب في ضعف مستواه المعرفي وهزالة نتائجه. فيحصل ربما على شهادة هي مجرد شهادة إدارية لا تعكس حقيقة مستواه ولا مؤهلاته ولا كفاءته. إنما راجعة إلى غياب التكوين القاعدي والهشاشة المعرفية والجهل بالضوابط والقواعد الإبستمولوجية في التعاطي مع العلم وممارسته.

من هذا المنطلق ارتاينا أن نقدم بمجموعة من المفاهيم على صلة ببعضها البعض ضمن نظام العلم ونسق المعرفة العلمية.

الدرس الأول: العلم La Science

كلمة "علم" لم تكن دوما وبشكل متواصل بالمعنى والدلالة التي هي عليه في ايامنا. في الفكر اليوناني نجد "أرسطو يؤكد انّ "العلم يتعلق بالضروري والأزلي" في حين يرى أفلاطون أن العلم هو "أعلى درجات المعرفة". في القرن الوسيط، اعتبرت الحقيقة العليا ذات طابع ديني. وحسب "لالاند" في اللسان الثيولوجي، لفظة "علم" تشير إلى معرف الله بالعالم. وظلّت كلمة العلم رهن التفكير الديني ثم الوجودي إلى غاية القرن السابع عشر، حيث لاحت في الأفق فكرة مناهج وخطوات التفكير، التي بموجبها انتقلت الهيمنة على فكرة العلم من الميتافيزيقا لصالح نظرية المعرفة.[1][i]

في القرن الثامن عشر، شهدت الكلمة تطور على مستوى المعنى والدلالة، واصبحت تشير إلى "إستخدام البرهنة على ما نتحقق منه. بمعنى استنتاج مبادئ مؤكدة وغير قابلة للتغيير عن طريق نتائج مشروعة"[2]

فيما بعد وجراء الكثير من التحولات والثورات على مستوى التفكير في الأشياء بالخصوص مع صعود الفلسفة الوضعية، بدأت كلمة العلم تقترب من أخذ المعنى الذي هي عليه اليوم. حيث اكتسبت خصائص وميزات ما نسميه بالعقل العلمي أو الروح العلمية (L'esprit scientifique)، الطريقة والأسلوب الذي نعرف به (منهج المعرفة) عوض ما نعرفه (موضوع المعرفة). وعن هذه المرحلة يطالعنا "كارل جاسبيرس" بتعرف للعلم يقول فيه: "العلم هو المعرفة الممنهجة

[1] Madeleine GRAWITZ, Méthodes des sciences sociales, Ed, DALLOZ, 3è édition,Paris,1976,p.28

[2] Ibid.

التي يعتبر مضمونها وبطريقة ملزمة، مؤكدا ومقبولا عالميا في نفس الوقت"[3]. سمح هذا التعريف العام للكثير من الفروع والميادين المعرفية، بالمطالبة بلقب العلم. وهو ما افرز العلوم القانونية والعلوم الاقتصادية والعلوم الاجتماعية والانسانية وغيرها من العلوم التي أصبحت تنافس علوم الطبيعة وتتقاسمها مناهجها ومنطقها في البحث.

يتمثل العلم لنا باعتباره مجموعة من المعارف والأبحاث تتوفر على درجة كافية من الوحدة والعمومية، وتسمح لأولئك الذين يمارسونه بالوصول إلى خلاصات ونتائج متوافقة بعيدة عن أن تكون وليدة الاتفاقات التعسفية، أو الرغبات والمصالح الفردية المشتركة، وإنما وليدة علاقات موضوعية يتم اكتشافها تدريجيا والتحقق منها عن طريق مناهج التحقيق"[4].

تشير لفظة العلم حسب أحد المهتمين بقضايا البحث العلمي، إلى أربعة معاني:

المعنى الأول: العلم باعتباره معرفة.

المعنى الثاني: العلم باعتباره موضوع البحث أو المعرفة. كأن نقول هذا موضوعا من مواضيع العلم، أو هذا الموضوع من اختصاص العلم.

المعنى الثالث: العلم باعتباره المنهج الذي من خلاله نحصل على المعرفة العلمية.

المعنى الرابع: العلم باعتباره الذات العارفة أو الروح العلمية.

كل هذه العناصر المترابطة في سياق مسعى التفكير العلمي، تأخذ معناها ودلالاتها من العلم باعتباره العنصر الناظم للعلاقة بينها. فحين نتحدث عن العلم باعتباره نشاطا أو فعلا، لا بدّ من حضور هذه العناصر الأربعة.

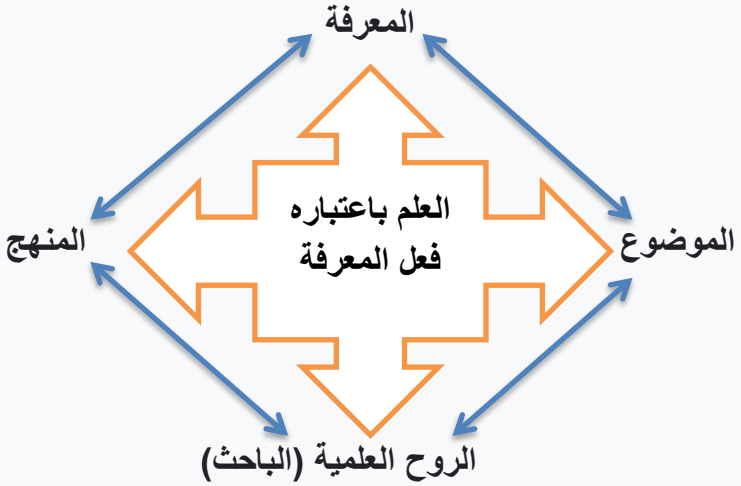

الشكل(01): عناصر العلم باعتباره فعل يستهدف انتاج المعرفة

من منظور آخر ينطوي مفهوم العلم على معنى مزدوج، فهو يشير من جهة إلى المفاهيم والمقولات والقوانين والنظريات التي تعكس الترابطات الضرورية والجوهرية والثابتة (نسبيا) في و/ أو بين عناصر الواقع المختلفة (الطبيعة، المجتمع، الفكر)، ويشير من جهة أخرى إلى مجموعة القواعد المنهجية التي انتهجها الفكر في التوصل إلى هذه النتيجة (المعرفة العلمية). وكما هو باد للعيان فإن كلا من موضوع العلم، ومنهج العلم، هما وجهان متكاملان لعملة واحدة، وبالتالي فإن أي خلل أو عيب في أحدهما , لابد أن يجد انعكاسه في الوجه الآخر.

أهداف العلم:

---

[3] Ibid.

[4] Lalande, 1976, cité par Gilles FERREOL & autres , Dictionnaire de Sociologie, Ed, Mehdi, 4è édition, Algérie, 2013, p.160.

يقول برتراند رسل: "للعلم منذ أيام العرب وظيفتان: فهو أولا، يجعل في طوقنا أن نعلم الأشياء، وثانيا يجعل في مقدورنا أن نفعل الأشياء" (19)، في إشارة إلى الجانب المعرفي النظري والجانب العملي التطبيقي.

ويتفق جمهور المشتغلين بالعلم والممارسين للبحث العلمي، أن هناك جملة من الأهداف التي يسعى العلم إليها نذكر منها:

الوصف والقياس: يسعى العلم باعتباره نشاطا معرفيا دوما نحو وصف الظواهر التي يدرسها ويهتم بها سواء كانت هذه الظواهر من الواقع الطبيعي المادي أو من الواقع الاجتماعي والإنساني. والوصف يتضمن عادة القياس، أو هو على الأقل أي القياس يتحقق بالوصف. ويكون وصف الظواهر وقياسها في الغالب من خلال القيام بإجراءات معينة كالملاحظة والرصد واستخدام أدوات خاصة تتناسب مع طبيعة الظاهرة.

التفسير والفهم: يحاول العلم دوما فهم الظواهر وتفسيرها بالطريقة المنهجية الصحيحة، وذلك من خلال التعرف على الأسباب والعوامل في وجودها أو حدوثها. فإذا كان الوصف يجيب عن السؤال "ماذا هناك؟ " أو "ماذا يحدث؟" فإنّ التفسير والفهم يحاول الإجابة على السؤال " كيف يحدث؟" أو "لماذا يحدث هذا؟". كما يتضمن التفسير والفهم محاولة إدراك العلاقات التي تترابط من خلالها الظواهر وتنتظم في نسق محكم ومنسجم. تتبادل ضمنه الظواهر التأثير والتاثر.

التعميم: يسعى العلم باستمرار إلى إمكانية تعميم النتائج العلمية التي يتوصل إليها من دراسة عينة أو فئة أو طائفة من الظواهر على طائفة أوسع ما أمكن من الظواهر.

التصنيف: يسعى العلم ايضا وباستمرا إلى تصنيف الموضوعات و الظواهر التي يخضعها للبحث والدراسة.

التنبؤ: لا يقف العلم عند حد وصف الظواهر الطبيعية وغير الطبيعية، والوصول إلى تعميما ت علمية أو تصورات نظرية معينة لتفسير بعض الأحداث والظواهر، وإنما يهدف أيضا إلى التنبؤ بما يمكن أن يحد ث مستقبلا إذا طبقنا هذه التعميمات ف مواقف جديدة غير تلك التي ولكي تكون تلك التنبؤات مقبولة علميا بالأساليب العلمية المتبعة، ولذلك يمكن اعتبار التنبؤ هو النتيجة الصحيحة والحتمية للوصف والتفسير.

الضبط: يهدف العلم إلى جانب الوصف والتفسير والتنبؤ إلى الضبط أو التحكم ف العوامل أو الظروف التي تجعل ظاهرة معينة تتم على صورة معينة أو تمنع حدوثها، ويرتبط هذا الهدف بالأهداف السابقة للعلم من حيث أن ضبط ظاهرة معينة يتوقف على مدى صحة تفسيرها ومعرفة الأسباب الحقيقية المسببة لها، وفي نفس الوقت تزداد قدرتنا على ضبط الظاهرة والتحكم فيها كلما زادت قدرتنا على التنبؤ بها.

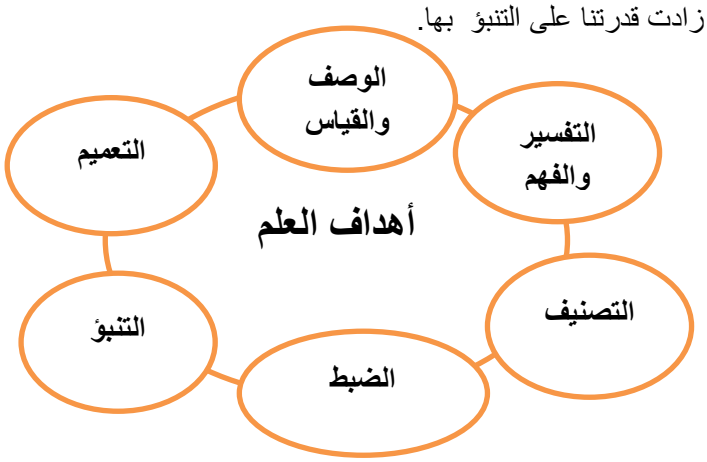

الشكل (02): أهداف العلم

الدرس الثاني: المعرفة la Connaissance

في اللغة، الكلمة مشتقة من الفعل عرف وعرف الشيء عرفانا ومعرفة: أدركه بحاسة من حواسه.

في الاصطلاح، المعرفة تشير إلى المعلومات والفهم اللذان يكتسبهما الإنسان من خلال التعلم أو التجربة. كما تعني الفهم النظري أو العملي لموضوع ما، وهي مجموع ما هو معروف في مجال معين. وعرفت أيضا بأنها الحقائق والمعلومات والوعي أو الخبرة التي اكتسبها الإنسان من الواقع.

المعرفة هي ما يدركه الإنسان من تعلم أو خبرة أو تجربة في مجال معين.

أقسام المعرفة:

تقسم المعرفة على ضوء التعاريف التي تقدمت إلى قسمين كبيرين:

المعرفة الفطرية: أي المعرفة التي فطر عليه الإنسان منذ اللحظة الأولى لولادته بل وقبل ذلك. وهي معرفة غريزية مرتبطة بالحاجات الضرورية وطرق تحصيلها من قبل الإنسان في مراحله الأولى قبل لأن يحتك بالمحيط من حوله. مثل معرفة الطفل كيف يرضع من ثدي أمه وكيف يفهم الأم أنه في حاجة إلى الرضاعة أو أنّه اكتفى منها.

المعرفة المكتسبة: وهي المعرفة التي يكتسبها الإنسان بفضل القدرات العقلية والإستعدادات الذهنية وإشغال الحواس. فهي معرفة قوامها وعي الحقائق وفهم الأشياء واستيعابها. وهي مدعومة بالخبرة والتجربة الذاتية والإحتكاك بالآخرين والإفادة من تجاربهم.

كما يمكننا أن نصنف المعرفة وفقا لمسار تطور التفكير البشري من القديم إلى الحديث إلى:

المعرفة العامية أو الحسية: وتسمى أيضا معرفة الخبرة والتجربة الذاتية، وهي المعرفة التي يرجع الفضل في تحصيلها إلى الحس المباشر والتجارب اليومية والعادة. فهناك الكثير من الحقائق يعرفها الإنسان في هذه المرحلة عن طريق الملاحظة الحسية المباشرة والمتكررة. مثل حقيقة أن الشمس تشرق كل صبيحة يوم من المشرق وتغرب في كل أمسية من الغرب. فهي معلومة حصلها الإنسان العادي القديم عن طريق العادة ولم يحتج فيها إلى معلم. لكنها تبقى مجرد معلومة مكتسبة قد يعتمد في تفسيرها على الأسطورة أو الخرافة أو قوة خارقة أو غيرها.

المعرفة العامية معرفة معطاة لجميع الناس باعتبارهم يتمتعون بالقدرة على الإدراك الحسي المباشر، وهي تقع ضمن نطاق ما تسمح به وتوفره القدرات الحسية الخمسة.

المعرفة الحسية لم تكن لتستجيب لكافة تطلعات الإنسان ولم تكن قادرة على مجاراة سعيه المتواصل نحو التعرف أكثر وظلت عاجزة عن تقديم التفسير المقنع للكثير من الظواهر والأحداث المرتبطة بالبيئة الطبيعية والمحيط الذي يحيا فيه الإنسان. ولهذا السبب انطلق الإنسان متجاوزا حدود الحس والتجربة الحسية، باحثا عن آفاق معرفة جديدة قوامها العقل والتأمل.

المعرفة الفلسفية التاملية: قوامها العقل الذي وظفه الإنسان في التامل والتفكير باحثا عن إجابة للكثير من الأسئلة التي عجزت المعرفة العامية والحسية أن تقدم لها إجابات. وهي الأسئلة المتعلقة بموضوعات لا يمكن للحس المباشر إدراكها ولا شأن للتجربة الحسية بها. إنها مسائل وموضوعات من اختصاص التفكير والتأمل العقلي. وخلال هذه المرحلة شهدت الفلسفة رواجا كبيرا وتبلورت الكثير من التيارات والمذاهب في مجال المعرفة من حيث مصادرها وموضوعاتها.

المعرفة العلمية: وهي أرقى أنواع المعرفة حسب راي الكثير من المؤرخين، باعتبارها تعبر عن مرحلة متطورة في تاريخ التفكير الإنساني. المرحلة التي استطاع خلالها الإنسان أن يجمع بين معطيات التجربة الحسية المباشرة وبين العقل كأداة للتفكير والنظر، ضمن ما يعرف حديثا بالمنهج العلمي، والذي أعطى للمعرفة طابعها وصفتها العلمية.

فالمعرفة العلمية هي إذن المعرفة التي ينتجها الإنسان ويحصلها بفضل توظيف واستخدام المنهج العلمي.

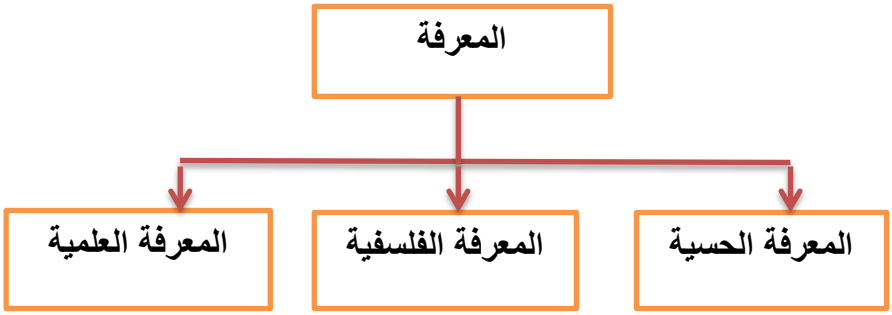

الشكل (03): أنواع المعرفة وفق تطور مسار التفكير البشري

مصادر المعرفة:

هناك ثلاث مصادر رئيسية للمعرفة وهي:

الوحي: وهو المصدر الذي يتلقى عن طريقه الأنبياء والرسل العلم من الله سبحانه وتعالى، ويتمثل في جميع الكتب السماوية المنزلة عموما والقرآن والسنة النبوية بالنسبة للمسلمين على الخصوص. ويعتبر الوحي من أقوى وأهم مصادر المعرفة كونه منزلا من عند الله الذي يعلم كل شيء في الأرض والسماء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الحواس: التي تفضل الله بها على الإنسان من أجل تحصيل المعارف وتنميتها في سبيل سعيه في الحياة وتحقيق مصالحه. وفي هذا يقول الله تعالى:" والله خلقكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون" (سورة النحل: 78).

العقل: فكما تفضل الله على الإنسان وأنعم عليه بالسمع والبصر والفؤاد، كي يتعرّف ويتعلم، فقد ميزه دون غيره من الكائنات بنعمة العقل كي يميز بين الحق والباطل ويعرف الصواب من الخطأ ويقدر النافع من الضار. إنّ امتلاك العقل باعتباره مصدرا من مصادر المعرفة لدى الإنسان يعني امتلاك القدرة على تحصيل المعرفة وبناءها من خلال العمليات العقلية وأساليب التفكير والتأمل، كالاستنباط والاستنتاج والتصور والإدراك والفهم والتفسير والتثبت مما حصل عليه من معرفة حسية.

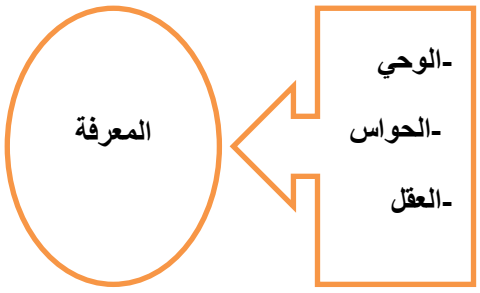

الشكل (3): المصادر الرئيسية للمعرفة

أما بخصوص طرق وكيفيات تحصيل المعرفة من قبل الإنسان كذات عارفة، فقد أجمع الكثير من الكتاب والمهتمين بالموضوع على أنّ هناك خمسة طرق:

الإعتقاد: نؤمن في الكثير من الأحيان بما نعرفه لأننا نعتقد أنه حق ومن الصعب أحيانا تغيير المعتقدات حتى في حالة وجود أدلة وبراهين على بطلانها أو عدم صحتها أو وجود ما يتعارض معها. ويكون للمرجعية الدينية والإيديولوجية والمذهبية دورا مهما في المعارف التي نتلقاها في إطار الاعتقاد.

المرجعية التقليدية أو الرسمية: في كثير من الأحيان يحصل الإنسان على معارفه استنادا إلى مرجعيات معينة مؤثرة في حياته، كشخصية دينية أو قائدا فذا أو شيخا مرشدا أو عالم شهير أو الأم أو الأب أو أي مصدر إلهام يحظى بالتقدير والثقة والإحترام.

الخبرة والتجربة الذاتية: التي يصقلها الإنسان على امتداد السنوات وقد لا يدرك أنه يتوفر عليها وقد لا يستطيع أيضا التعبير عنها ولا نقلها للآخرين. لكن تبقى هذه الخبرة المرجعية والسند الذي يستلهم منه الإنسان معارفه ويلجأ إليه دوما في خياراته واتخاذ قراراته.

الرؤية المعرفية النظرية : الأمر يتعلق هنا بالمعارف النظرية التي تم تحصيلها وجمعها طوال سنوات التكوين والدراسة في ميدان علمي من الميادين. إذ يمكن للإنسان توظيف مثل هذه المعارف والأفكار في الإجابة عن الأسئلة وايجاد الحلول للمشاكل في الحياة والإستعانة بها في تفسير وفهم ما يكون موضع غموض وابهام أحيانا.

الطريقة الإمبريقية: أي من خلال البحث والاستكشاف: وهي الطريقة القائمة على جمع الشواهد والملاحظات وتجميع البيانات في إطار التحقق من صحة افتراضات نظرية وضعت بخصوص مسالة معينة.

تابع الدرس الثاني: مصادر المعرفة حسب أهم المدارس الفكرية والفلسفية.

عندما يتعلق الأمر بالحديث عن مصادر المعرفة عموما فأنّه يصبح لزاما علينا أن نرجع إلى أهم المدارس والإتجاهات الفكرية والفلسفية التي خاضت في هذا الموضوع وغيره من المواضيع ذات الصلة. ولعل أول وابرز مدرسة في هذا السياق، هي:

العقلانية: هيمنت في القرن السابع عشر، وقال اصحابها بأولوية العقل كمصدر للمعرفة لذى الإنسان. "فكل ما هو موجود فهو مردود إلى مبادئ عقلية".

تعتبر العقلانية حسب القاموس المعاصر للتربية 1994، تيارا معرفيا يعتقد أنّ كل المعرفة الصحيحة تاتي إمّا بشكل حصري أو أساسي من استخدام العقل. وهو اتجاه يمتد في التاريخ إلى عصر اليونان، أين مثّل من قبل فريق من الفلاسفة على رأسهم، إقليدس 300 ق م، فيتاغورس 569-475 ق م وأفلاطون 428-347 ق م. هؤلاء كلهم دافعوا على الموقف العقلاني من خلال إعطاء الأولوية للأفكار.

ثم جاء في بداية القرن السادس إلى بداية القرن التاسع عشر، فريق من الفلاسفة على رأسهم ديكارت 1596-1650، لايبنز (1646-1716)، وكانط (1724-1804) ليعززوا هذا الإتجاه مفضلين التفكير بشكل عام والاستدلال الإستنباطي عل الخصوص أي التفكير انطلاقا من المجرد والعام إلى الملموس والحسي في إنتاج المعرفة حول الظواهر والأشياء.

من المهم أن نشير هنا إلى أنّ العقلانيين يستبعدون التجريب من آليات إنتاج المعرفة الجديدة. والسبب في نظرهم يعود إلى أنّ التفاعل مع الواقع من خلال التجربة لن يكون مجديا إلاّ على مستوى التحقق مما تمّ استنتاجه، وبقدر ما يكون ماتمّ استنتاجه واضحا بينا، يصبح التجريب عديم الفائدة وبالتالي غير ضروري.

التجريبية أو الأمبريقية: ظهر هذا التيار في القرن الثامن عشر(ق 18) وهو يتعارض مع العقلانية. حيث يرى أصحابه أنّ كل المعرفة تأتي أساسا من التجربة. بتعبير آخر التجربة هي مصدر كل المعارف. ارتبط الفلاسفة الإنجليز كـ

بيكون (1561-1626)، جون لوك (1632-1704) وبيركلي (1685-1753) بالإتجاه التجريبي الذي يقترح أن العلوم تتقدم من خلال تراكم الملاحظات التي يمكن من خلالها استخراج القوانين. وهذا من خلال التفكير الإستقرائي الي ينتقل من الملموس والحسي إلى المجرد والعام.

ساهم اسحاق نيوتن (1642-1726) في تعزيز هذا الاتجاه وإعلاء شأنه من خلال إعطاء أهمية كبيرة للتجارب في عمله الشهير " مقدمة المبادئ" علم 1686. وهو العمل الذي يقترح فيه" أنّ ملاحظة الظواهر عادة ما تسبق المظاهرة: يبدو أن" عبء الفلسفة كله يتكون من هذا، من ظواهر الحركات إلى التحقيق في قوى الطبيعة، ثم من هذه القوى لأثبات الظواهر الأخرى (الميكانيكا) و(قوة الجاذبية).

الوضعية: (القرن 19)

ينسب التيار الوضعي عادة إلى الفيلسوف الفرنسي، أغيست كومت (1718-1857) وكذا الفيزيائي ماخ (1838-1916). وهو تيار مستوحى من التجريبية أو يعتبر رافدا من روافدها في الفكر الغربي بمعنى انّ أتباع الوضعية يؤمنون فقط بالحقائق المتوصل إليها من خلال الملاحظة ويكرسون بالفعل وبشكل يمكن وصفه بالمتطرف مقولة، " الملاحظة مصدر كل معرفة علمية". لكن هذا لم يمنع الوضعية من أن تعترف بأهمية التفكير من خلال إضافة أن العلوم تحاول بستخدام الرياضيات ربط البيانات التجريبية مع بابسط طريقة ممكنة. وهو ما يمكننا فهمه على انه محاولة للجمع والتوفيق بين آلية التجريب والتفكير. يتضح هذا أكثر عندما نقرأ التعريف الذي اقترحه أغيست كومتواقتبسه كريمر ماريتي 1993 والذي مفاده: "إذا كان من الصحيح أنّ العلم يصبح ايجابيا فقط على أساس الحقائق المرصودة التي يتم التعرف عللى دقتها بشكل عام، إلاّ أنّه مما لا جدال فيه أيضا أنّأي فرع من فروع معرفتنا يصبح علما فقط في الوقت الذي يتم فيه عن طريق فرضية ربط جميع الحقائق التي يستند إليها".

يصر الوضعيون على صرامة التفكير من خلال الإستقراء، إذ يجعل من الممكن الإنتقال من الحقائق إلى الفرضيات. ويأتي على رأس الوضعيين جون ستيوارت ميل (1806-1873) وفيشر (1890-1962) باعتبارهما طورا طرقا في الإستقراء تستند إلى الاحتمالات والإحصائيات للحصول على قوانين محتملة من مجموعة تدابير واجراءات.

إنّ النظريات المنتجة على حد تعبير الوضعيين ليس لها في ذاتها أي قيمة أخرى غير كونها مرتبطة بالحقائق، إنها لا تعلمنا شيئا عن الواقع الذي لم يتم تضمينه بالفعل في الحقائق نفسها. والعلم في نظر الوضعيين يصف كيف الأشياء دون أنيكون قادرا على قول أي شيء عن السبب.

الدرس الثالث: القوانين العلمية Les Lois scientifiques

يعرّف العلم من وجهة نظر معرفية على انه نشاط يهدف إلى رصد وضبط العلاقات بين الظواهر، وهذه العلاقات الثابتة هي ما يطلق عليه إسم "القوانين".

تعدّ القوانين عنصرا أساسيا من عناصر انتظام الكون فالعالم الطبيعي والمجتمع الإنساني لا تحكمهما الفوضى ولا هما يسيران خبط عشواء، إنما تحكمهما قوانين ثابتة في نظامهما أو حركتهما. ومن هنا أصبح من العلم ومن ابجديات المنهج العلمي أن نبحث في التعرّف على القوانين ونرصد العلاقات بين الظواهر. وكلما تعرفنا أكثر على هذه الأخيرة كلما فهمنا أكثر اسرار الكون والمجتمع واصبح من اليسير علينا أن نقدم التفسير العلمي الصحيح للأشياء والظواهر. جاء على لسان أحد المفكرين أنه" إذا انعدمت القوانين تلاشى الوجود الفعلي وانعدمت الدنيا، وإذا ما انعدمت المعرفة بالقوانين تلاشت التجربة وتلاشى فهم العالم. إنّ العالم خلا من الفوضى لأن اشكال القانون تتغلغل في كل مكان"[5]

تعددت المذاهب والنظريات بخصوص طبيعة القانون العلمي، نذكر منها أربعة:

مذهب القانون الكامن: العلة تكمن في ماهيات الشياء وصفاتها الجوهرية، وأن فهم هذه الصفات الجزهرية وإدراك ما بينها من علاقات يؤدي إلى اكتشاف أن هذه العلاقات تسير وفق نمط أو نسق مطرد، وهو ما يطلق عليه أسم القانون.

مذهب القانون المفروض: يرى اصحاب هذا المذهب أنّ هناك صلة بين الكائنات العليا ونظام الطبيعة حيث يتعدر اكتشاف ماهيات الشياء من خلال الوقوف على العلاقات التي تصل هذه الشياء ببعضها. ويتعدر أيضا اكتشاف القوانين أي العلاقات التي تصل الأشياء ببعضها عن طريق دراسة ماهيات وطبائع هذه الأشياء. إنّ العمل الإلهي بما يتضمن من خلق وعناية حسب هؤلاء كامن وراء هذه العلاقات التي هي آية من آيات العمل الآلهي وحكمته[6] حسب فريق منهم.

مذهب القانون الوصفي: القانون هو مجرد وصف للظواهر بعد ملاحظتها في تتابعها واقترانها. هو مذهب ينأى بنفسه عن متاهات الميتافيزيقا ويعمد فقط غلة ملاحظة الأشياء ومقارنتها ويعد اوجست كونت من أنصار هذا المذهب، حيث أسس للسوسيولوجيا انطلاقا من ملاحظة الظواهر الاجتماعية مستبعدا فكرتي القانون الكامن والمفروض من خلال استبعاده للميتافيزيقا ككل.

مذهب القانون الاصطلاحي أو الإجرائي: هو اتجاه حديث ساد في القرن العشرين ولقي رواجا عند دعاة الوضعية المنطقية واصحاب المدرسة البرغماتية. يرى أصحاب هذا المذهب أنّ القوانين غير قابلة للتحقيق بمعنى عدم مطابقة القول مع واقعة خارجية معينة، فالقوانين ليس قضايا Propositionsيمكن أن توصف بالصدق أو الكذب، وإنما هي دلالات قضايا Arguments des propositions يمكن أن تنحل إلى قضايا مفردة الموضوع، إنها الأطر التي تساق فيها هذه القضايا، وهذه القضايا هي التي يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب، أي يمكن محاكاتها بالعالم الخارجي لمعرفة صدقها من كذبها لنها وقائع مباشرة[7].

إن القوانين مجرد صياغة عقلية تواضع عليها العلماء للنظر من خلالها إلى الظواهر رغبة اخضاعها لمفاهيمنا واستعمالها كأداة ترسم طريقنا في البحث. ومن هنا يرى أصحاب المذهب الإصطلاحي أنذ القانون يتجاوز فكرة السببية التي كانت تفرض نفسها في المذاهب السابقةن بل تصبح السببية حسب تفسير أحد أنصار هذا الإتجاه وهو جون ديوي، مجرد وسيلة أدائية لتنظيم السير بالبحث في كائنات الوجود الخارجي، وهي ليست بذاتها امرا قائما في ذلك الوجود. كما يرفض هذا

---

[5] روبرت ماكيفر، الجماعة، دراسة في علم الاجتماع، تر: نبيهصقر، بيروت 1968، ص. 19

[6] محمد فرحات عمر، طبيعة القانون العلمي، القاهرة، 1966، ص.21.

[7] نفس المرجع، ص.208.

المذهب فكرة الحتمية، فهذه الأخيرة توجد في الرياضيات فقط أما في العلوم الأخرى فلا وجود لها وإن وجدت فهي مجرد مبدا منظم لنعرفة الإنسان، إذ لا أصل لها في العالم الخارجي ولا تاثير.

القانون في العلوم الاجتماعية:

يشكك الكثير من العلماء في امكانية القول بمفهوم القوانين في العلوم الاجتماعية كما شككوا في امكانية تطبيق المنهج العلمي في دراسة المجتمع. إلاّ أن البعض يرى أنه من الممكن القول بفكرة القانون في العلوم الاجتماعية مع ضرورة الأخد في الإعتبار نسبية هذه القوانين وطابعها الاحتمالي أو الافتراضي. يتميز القانون الاجتماعي بخصوصيات مترتبة في معظمها من فكرة مركزية الإرادة الإنسانية في صياغة وتعديل القانون الاجتماعي.

يرجع الفضل إلى المفكر الاجتماعي الفرنسي ، مونتسكيو في إدخال فكرة القانون إلى حقل العلوم الاجتماعية، إذ كتب في روح القوانين 1748:" إنّ القوانين بأوسع معنى للكلمة هي العلاقات الضرورية التي تنشا من طبيعة الأشياء، وبهذا المعنى، فكل شيء موجود له قوانينه الخاصة به.. إنّ تاريخ كل امة ليس إلاّ نتيجة حتمية لقوانينها الاجتماعية.."[8]

الدرس الرابع: النظريـــة والمفاهيم La Théorie et les Concepts

النظرية:

تكتسي النظرية وما تتضمنه من مفاهيم أهمية بالغة في العلم وانتاج المعرفة العلمية وتطورها. وهذا ما توضحه العبارة التالية التي تعمدنا نقلها باللغة التي جاءت قيلت بها من قبل صاحبها، تجنبا لأي إخلال قد يقع بالمعنى الدقيق والصريح لها عند ترجمتها.

إن الممارسة الحقة والصحيحة للبحث العلمي السوسيولوجي، باعتباره تفكيرا علميا في الظواهر الاجتماعية، وسعي نحو انتاج معرفة علمية، قائمة على الاستحضار الدّائم للتداخل والترابط بين البناء النظري والتجربة الميدانية. فلا يمكن تصور عملا ميدانيا من دون سند نظري ورؤية معرفية يتبناها الباحث ويوظفها في قراءة وتحليل وتصنيف ما يلاحظه في الميدان. كما لا يمكن الحديث عن نظرية علمية دون أن تكون متجذرة في واقع ما ومعبرة عن تجربة معينة. ولهذا يعتبر البحث بمثابة مراوحة (un va et Vien) بين النظري والميداني.

ماذا تعني النظرية؟

في اللغة الأكاديمية، النظرية هي مجموعة من التصريحات العامة، الواصفة لظواهر واقعية. بمعنى استعاري أكثر، النظريات هي بمثابة شباك تستخدم في الإمساك بما نسميه العالم، وجعله عقلاني، قابل للفهم وممكن التحكم فيه. هكذا يشبهها "كارل بوبر"[9]

في الكتب المنهجية نجد جملة من التعاريف متنوعة ومتكاملة في نفس الوقت:

فموريس أنجرس يعرفها على أنّها: "مجموعة مصطلحات، تعريفات وافتراضات، على علاقة ببعضها، تقترح رؤية نسقية منظمة لظاهرة ما، بهدف تأويلها والتنبؤ بها"[10].

أما ماري فابيان فورتين، ترى أنها " مجموعة من التعميمات بخصوص مفاهيم وفرضيات تحدد علاقات بين متغيرات، بغية تفسير الظواهر والتنبؤ بها"[11].

---

[8] ابراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2009، ص.53.

[9] Popper, Karl, la logique de la découverte scientifique.

[10] Angers, M. initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines, p.335

[11] Fortin, M.F, Le processus de recherche, p.370

بمعنى مبسط، النظريات هي بناءات ذهنية تأخذ شكل أنساق مفهومية، تستخدم في تفسير الظواهر الواقعية. وبالضبط لكونها أداة تفسير لظواهر وأحداث الواقع، تعد النظريات الأدوات التي تعمل على تنظيم تمثلاتنا لهذا الواقع. هذا ما يمكننا فهمه من "إيزابيل. لفرناس" عندما قالت: "الاجتماعي، المجتمع، السياسي، الواقع بشكل عام لا يمكن أن يرصد إلاّ من خلال رؤية مبنية، تعرف كيف تنظم الظواهر من النظرة الأولى. وفي هذا تكون النظرية بمثابة الإطار المرجعي الذي يعطي معنى ويسمح للملاحظ من فهم subsumer أو تفكير أجزاء أو جوانب الموضوع ضمن كليته. بدون هذا التبادل في العلاقات تبقى الظاهرة غير قابلة للفهم. أو تجعل الباحث يغرق في مد وجزر، أي تجادب للمعلومات تبدو للوهلة الأولى كلها مقبولة. فالنظرية إذن هي بمثابة علم أو فن تركيب الواقع، الأداة التي بفضلها نعيد للواقع منطقه، وصياغته ضمن مبدأ الانتظام والتناسق، ومبدأ تلازم أو تتابع العلل والنّتائج ordonnancement de causes et d'effets"[12].

ويعرّفها "بارسونز"، أنها "نظام من القوانين"[13] في حين يرى "مرتون" أن النظرية السوسيولوجية تتكون من "مفاهيم مرتبطة منطقيًا ببعضها البعض، وليس ذات نطاقً عالميً ولكنها محدود بشكل متعمد. يأمل المرء أن يشتق منها عددًا كبيرًا من أشكال السلوك الاجتماعي التي يمكن الوصول إليها الملاحظ".[14]

بالنسبة إلى Galtung، "النظرية هي مجموعة من الفرضيات التي يتم تنظيمها من خلال علاقة متضمنة أو استنتاج".[15]

بالنسبة إلى "وات" و"فان دن بيرج"، "النظرية هي مجموعة من المفاهيم المترابطة من خلال مقترحات فرضية أو نظرية توضح ما يجب أن يحدث منطقيًا"[16].

أما ريمون بودون فيرى "أن للنظرية في العلوم الاجتماعية معنيين، معنى واسع ومعنى ضيق. بالمعنى الضيق، تتناسب مع مفهوم نظام الافتراضات الاستنتاجية. المعنى الواسع يغطي، بالإضافة إلى مفهوم النظرية بالمعنى الضيق، ما لا يقل عن ثلاث فئات متميزة من النماذج، مثل النماذج النظرية أو التناظرية، والنماذج الرسمية والنماذج المفهومية"[17]. ومن هذا المنطلق ترتبط النظرية بمفهوم النموذج، الذي لا يقل هو الآخر أهمية في مجال التفكير والبحث في العلوم الاجتماعية، والعلم بشكل عام.

وظائف النظرية الاجتماعية:

يمكننا استجلاء وظائف النظرية الاجتماعية من خلال الأبعاد التي أشار إليها "إيان كريب" ضمن كتابه: "النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى ها برماس"[18]:

البعد المعرفي: النظرية وسيلة لإنتاج المعرفة عن الواقع الاجتماعي. ووعاء يحمل مجموع الأدوات التي تمكن الباحث الاجتماعي من تملّك هذا الواقع وجعله قابلا للفهم والتفسير.

البعد العاطفي: النظرية تجسد خبرات وتجارب المنظر أو شخص الباحث. وتعبر عن مشاعره وهواجسه. ولهذه الأخيرة أهمية في الدفع بالباحث في اتجاه معين في البحث، وتحديد اختياراته.

---

[12] Lavergnas. I, « la théorie et la compréhension du social »dans Gauthier, B.(sous la direction de),recherche sociale, De la problématique à la collecte des données,p.119

[13] Gilles WILLETT, Opcit.

[14] Ibid

[15] Ibid

[16] Ibid.

[17] Ibid.

[18] إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى ها برماس، تر: محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت 1999، ص.ص.37 - 39

البعد التأملي: باعتبار العلوم الاجتماعية ونظرياتها، كلاهما جزء من الحياة بالضرورة، كما أنهما طريقة في فهمها.
البعد المعياري: النظرية، أي نظرية تقوم بوصف الواقع لابد أن تطرح في ثناياها تصريحا أو تلميحا (افتراضات) عما يجب أن يكون عليه ذلك الواقع.
تلخيصا لما سبق يمكن القول أنّ النظرية تحدد مسار البحث واتجاهه، وتدفع بالباحث نحو تناول الموضوعات التي تستحق البحث أكثر من غيرها. كما تحدد النظرية الثغرات في معارفنا، فالباحث لا يمكنه معرفة ما ينقصه إزاء أي موضوع يسعى لتناوله، إلاّ إذا عرف أولا ما هو متوفرا بخصوص هذا الموضوع. وهذا ما يمكن أن تتيحه النظرية، باعتبارها تلخص وتنظم المعرفة المكتسبة عبر قوانين وفروض ومفاهيم، وصولا إلى التعميمات الامبريقية واتساق العلاقات بين القضايا والفروض. هذا فضلا عن مهمتها في ترشيد العمل الميداني وتوجيهه.

المفاهيم:

المفاهيم جزء لا يتجزأ من النظرية، بل تعتبر الجزء المركزي لها. إذ لا يمكن الحديث عن أي نظرية من دون ذكر المفاهيم التي تبلورت هذه النظري على أساسها. بعبارة أخرى المفاهيم هي الأدوات التي ينبغي أن تمتلكها إي نظرية حتى يتسنى لها أن تصبح مدخلا في التحليل وإطارا مرجعيا في الفهم والتفسير. ولا يفوتنا هنا أن نعيد تكرار المقولة التي جاءت على لسان أستاذ المنهجية يوم كنا في المرحلة الجامعية الأولى من التكوين، وظلت ومازالت راسخة في أذهاننا إلى اليوم، وهي: "أن البحث هو البحث عن أدوات البحث" ودائما ما يستطرد قائلا والمفاهيم من بين أهم هذه الأدوات.
ماذا تعني المفاهيم؟ تجيب "مادلين غرافيتز" على هذا التساؤل بقولها: " هي ليست الظاهرة في ذاتها، هي تجريد، فكرة..."[19] وباعتبارها وسيلة من وسائل المعرفة يخضع المفهوم إلى حركة مزدوجة، من جهة هو يمثل نشاطا تطبيقيا، محسوسا، عبر ملامسة الواقع في شكل عناصر تصف وترصد بالملاحظة. ومن جهة ثانية، فعلا تجريديا يدرك من خلاله العالم واشيائه.
تعتبر المفاهيم إلى جانب الفرضيات العناصر الأساسية والأدوات المركزية في النظرية العلمية. ولا يمكن أن نتحدث عن مفهوم مؤسس إلاّ عندما يعرّف داخل لغة أو خطاب علمي، أي ضمن نظرية علمية مؤكدة. ومن اجل ان يستجيب لقواعد ومتطلبات العلم، ينبغي أن يكون المفهوم على مستوى عالي من الدقة والوضوح. ولهذا فهو دوما ما يكون وليد جهود متواصلة يبدلها العلماء والباحثون، من أجل إضفاء التعريف الدقيق، الذي سوف يكسبه القدرة على الفهم العميق والتفسير الصحيح للأشياء والظواهر. ولهذا السبب نقول عن المفهوم بأنّه حصيلة بناء يقوم به رجل العلم من خلال عزل وإبعاد بعض السمات الخاصة للوقائع المدروسة.
تصنف المفاهيم عادة ضمن مسار البحث العلمي، إلى مفاهيم نظرية أو تصورية ومفاهيم إجرائية. المفاهيم النظرية هي تعريفات مجردة ومؤقتة، سرعان ما يتم تحديدها وضبطها وفقا لأهداف البحث. والمفاهيم الاجرائية تفرزها التصريحات النظرية (الفرضيات) ويتم توظيفها في الملاحظة الامبريقية وقياس الظواهر والعلاقات بينها.
حسب "ليتلى جون"، " ينبغي أن نفصل المفاهيم والتعريفات، لأنه بواسطة هذه الأخيرة، يصبح ممكنا فهم ما يلاحظ الباحث وما يعتبره مهما في بحث معين. النظرية الجيدة، يجب ألاّ تبرز فقط المفاهيم وتعريفاتها، وإنما يجب عليها أن تحدد بدقة وتفسر العلاقات بين المفاهيم ولماذا هذه العلاقات".[20]
هناك أربعة وظائف للمفاهيم وهي[21]:

[19] Madeleine GRAWITZ, Opcit , p.22.
[20] Gilles WILLETT, Op.cit.

- توفّر لغة مشتركة تمكن الباحثين من التواصل فيما بينهم.
- تقدم للعلماء منظورا أي طريقة لرؤية الظواهر.
- تسمح للعلماء بتصنيف خبراتهم وتعميمها.
- تعرّف بمضامين النظرية وخصائصها. وتعبر عن الأفكار والقناعات داخل النظرية.

الدرس الخامس: التفسير العلمي L'explication scientifique

يعدّ التفسير وظيفة من وظائف العلم وهدف من أهداف البحث العلمي. بل إنّ مصطلح التفسير هو المصطلح الأكثر استخداما في مجال البحث العلمي، خصوصا في عصرنا الحالي. الملاحظ في البحوث والأعمال الأكاديمية التي تنجز في شكل مذكرات التخرج ورسائل وأطروحات الطلبة والأساتذة الباحثين، أنها تكاد تكون كلها بحوثا في محاولة تفسير الظواهر والتعرف على الأسباب والعلل.

ارتبط مصطلح التفسير من حيث الاستخدام بنظرية الفيلسوف الأسكتلندي "ديفيد هيوم"(1711-1776) في التفكير العلمي. وذلك في إشارة إلى عملية ربط ظاهرة يراد تفسيرها بظاهرة أخرى، من خلال قوانين عامة. لكن هذا الأسلوب في التفسير تغير مع التطورات التي حصلت في ميدان العلم. وحسب "كارل همبل" فقد أصبح هناك نوعين أو بالأحرى نمطين من التفسير العلمي، التفسير الاستنباطي والتفسير الاحتمالي أو الاستقرائي.

وفقا للنمط الأول تفسر الظاهرة المراد تفسيرها باستنباطها من قانون عام، الذي من سماته الأساسية أنه شامل لكل الحالات التي تقع ضمن مجاله، دون استثناء. كما هو الشأن في تفسير سقوط الأجسام، انطلاقا من قانون الجاذبية.

يقتضي منطق هذا النمط من التفسير، أنّ تقود المقدمات بالضرورة إلى النتيجة التي تطابقها. في حال المقدمات الصحيحة، النتيجة بالضرورة تكون صحيحة. وإذا كانت المقدمات غير صحيحة فالنتيجة كذلك. ولهذا يعتبر هذا النمط من التفسير هو الأقوى، لأن النتيجة لابد أن تكون صحيحة إذا كانت المقدمات صحيحة.

أما في النمط الثاني، أي التفسير الاستقرائي، فليست كل التفسيرات العلمية تبنى على قوانين كلية عامة، بالنظر إلى وجود حالات لا يمكن أن نصل من خلالها إلى تعميم كلي. الأمر الذي يحصل مع العلوم الاجتماعية، التي تعتبر ظواهرها أو موضوعاتها من ضمن هذه الحالات التي يتعذر في الغالب إن لم نقل دوما، الوصول إلى التعميم. وهذا ربما هو السبب الذي جعل الكثير من علماء الاجتماع خصوصا يتحفظون من استخدام مصطلح القانون، باعتباره مصطلحا لا يليق في نظرهم بطبيعة موضوعات هذه العلوم، ويفضلون بدله مصطلح العلاقات. الباحثون في علم الاجتماع على غرار زملائهم في الحقول الاجتماعية الأخرى يلجؤون عادة للتفسير الاستقرائي أو الاحتمالي، الذي يستخدم التعميمات التي تعبر إما عن

شاقا فرانكفورت ناشمياز ودافيد ناشمياز، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، تر: ليلى الطويلن بترا للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2004، ص. 41[21]

معدل رياضي بين الظواهر (نسبة n من x = y)، أو التعميمات التي تعبر عن النزعة أو الميل في صيغة (أ تميل إلى أن تسبب **ب**).[22]

إن الاستنتاجات التي نصل إليها من خلال حالات معينة لا يمكن أن تكون مؤكدة بشكل كامل. وهذا يعتبر قصورا في التفسير الاستقرائي. ومن هنا نشأ التشكيك في علمية العلوم الاجتماعية والانسانية وعدم الوثوق في نتائج البحوث والدراسات التي تجرى ضمنها. وجاءت جهود علماء الاجتماع المؤسسين في معظمها كردة فعل أمام هذه المزاعم، محاولة إرساء قواعد لمقاربة تفسيرية للظواهر الاجتماعية. وهو ما كان على يد " أوغست كومت" و"إميل دوركا يم". هذا الأخير الذي اجتهد في وضع قواعد منهجية لدراسة وبحث الظواهر الاجتماعية بعيدا عن الذاتية وفي منأى عن النزعة التأملية، باستخدام التجريب والاحتكام إلى الجبرية الاجتماعية التي تستند إلى الحتمية والعمومية والشمول والقهر الاجتماعي، والتخلي عن التصورات المسبقة والتخلص من معارف الحس المشترك. ويقول دوركا يم في هذا الصدد:" إنّ القاعدة التي ننطلق منها لا تفترض أي تصور ميتافيزيقي، ولا تتضمن أي نظر تأملي في كنه الموجودات. إنّ ما تطلبه هو أن يضع عالم الاجتماع نفسه في وضع فكري شبيه بالوضع الذي يكون عليه الفيزيائيون والكيميائيون والفيسيولوجيون، حينما ينخرطون في استكشاف منطقة مجهولة عن ميدانهم العلمي. فعلى عالم الاجتماع، بدوره وهو يحاول النفاد إلى المجتمع أن يعي بانه ينفد إلى عالم مجهول، وعليه أن يشعر بانه إزاء وقائع غير منتظرة مثلما كانت عليه وقائع الحياة قبل أن تتشكل البيولوجيا كعلم."[23]

البحث في العلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع بشكل خاص، يسعى دوما إلى تجاوز مجرد الوصف البسيط والسطحي للظواهر الاجتماعية، (حتى وإن كان الوصف العلمي الدقيق ليس بالمهمة السهلة)، وإنما نحو تفسيرها. وتفسير الظواهر في المعنى العام والتطبيقي يقتضي وضع هذه الظواهر في علاقة مع ظواهر أخرى، مع نظام من الأفعال، سياق اجتماعي كلي، مجموعة تحولات تاريخية، معنى أو تمثل مخفي في ذهن من كانوا وراء وجود هذه الظواهر، استراتيجيات الأعوان في إطار تنافس، وظائف ينبغي أن يضمنها النظام الاجتماعي. بالمختصر، تفسير ظاهرة يعني إخراجها من فوريتها والعزلة التي تنطوي عليها"[24] من خلال هذه العلاقة فقط يمكن أن تصبح الظاهرة قابلة للتفكير العلمي أو التعقل. فالانتحار كظاهرة، لم تكن لتكون موضوعا للعلم ولا قابلة للفهم والتعقل إلا مع الجهود التي بدلها إميل دوركا يم، في هذا الاتجاه، واضعا اياها في علاقة مع مفهوم أو ظاهرة أخرى هي، درجة الانسجام أو التناغم الاجتماعي[25].

والجرائم والانحرافات التي تنتشر في المجتمع المعاصر لا يمكن ان تكون ظواهر مفهومة ومتعقلة، إن لم توضع في علاقة بالتحولات القيمية التي تتعرض لها المجتمعات، أو الفردانية المفرطة للأشخاص والطموح المتزايد نحو الكسب والتملك، أو التفكك الحاصل على مستوى الأسرة والاختلال الوظيفي الذي أصاب المؤسسات. وغيرها من العوامل.

"التفسير لا يعني التعريف، التفسير يعني الإجابة على السؤال لماذا؟"[26]، ولهذا فهو يقوم غالبا على مبدا الضرورة. والضرورة إما أن تكون سببية(causale)، أو تطبيقية(pratique) أو منطقية (logique). تكون في الحالة الأولى

---

1 شافا فرانكفورت. ناش مياز دافيد ناش مياز، طرائق البحث في العلوم الاجتماعية، تر ليلى الطويل، دار بترا للنشر والتوزيع، ط.1، دمشق، 2004،

2 جميل حمداوي، علم الاجتماع بين الفهم والتفسير، شبكة الألوكة.

[24] Raymond QUIVY Et Luc Van. CAMPENHOUDT, Manuel de recherche en sciences sociales, DUNOD, 3ème Edition, Paris, 2006,

[25] Ibid.

[26] Gilles WILLETT, Paradigme, Théories, modèle, schéma ; qu'est-ce donc ?, Communication et organisation, (En ligne), 10/1996, mise en ligne le 26 mars 2012, consulté le 30 avril 2020, URL ;http ;//

عندما تفسر واقعة أو سلوك انطلاقا من علاقة السبب بالنتيجة أو الأثر. بحيث يتم اعتبار ما يلاحظ وتأويله على أنه نتيجة لسبب او أسباب سابقة على الملاحظة. في الحالة الثاني يتم تفسير واقعة أو سلوك انطلاقا من علاقة فعل بنتيجته. ما نلاحظه إذا هو محصلة لإرادة ما أو فعل أو تصرف متعمد من اجل بلوغ هدف خاص أو وضعية معينة. أما في حالة الضرورة المنطقية، فالتفسير يقوم على تناغم العلاقات بين العناصر.

تابع الدرس الخامس: أنماط التفسير: الاستقراء والاستنباط
Modes de L'explication : Induction, Déduction

يقوم التفكير العلمي عل نمطين أساسيين بقدر ما يبدو مختلفين إلا أنهما متداخلين ومتكاملين في الأخير. مهما التفكير بطريقة الاستنباط والتفكير بطرقة الاستقراء. وقد سبق أن تحدثنا عليهما في الدرس الخاص بالتفسير العلمي لأنهما يعتبران ايضا اسلوبين في تفسير الظواهر.

الاستنباط (La déduction): ويعني استخدام قواعد المنطق للوصول إلى مجموعة من المقدمات" المنطقية"، التي يتعين أن تترتب عنها نتائج بعينها. ويبدأ الاستنباط بنظرية ثم ينتقل إلى الفروض أو الفرضيات المشتقة منها. ويشرع بعد ذلك في اختبار الفرضيات من خلال التنبؤ وعمليات الملاحظة. وتسمى هذه الطريقة في التفكير ايضا بـالمنهج الاستنباطي الفرضي (Méthode Hypothéco-déductive). ويعتبر الكثير أنّ هذا الأسلوب في التفكير، هو الأسلوب العلمي بالمعنى الحقيقي للكلمة، لأنه يركز بالدرجة الأولى على اختبار الفروض.[27]

الاستقراء (L'induction): وهو عكس الاستنباط، إذ يبدأ من ملاحظات معينة، تكون نواة لصياغة تعميمات إمبريقية، تعتبر أساس بناء النظرية. ويعد الاستقراء التحليلي الأكثر شيوعا داخل الدراسات الكيفية في حقل علم الاجتماع. يقتضي الاستقراء باعتباره منهجا في التحليل والبحث، فحص كل حالة في البحث من اجل التحقق من الفرضية. إذ يحاول الباحث الذي يستخدم هذا الأسلوب، صياغة فرضيات عامة من وافع ملاحظة حالات أولية. ثم يتحول إلى فحص الحالات الأخرى بهدف التعرف على الحالات النافية، ثم يعيد صياغة الفرضيات بما يتلاءم مع هذه الحالات النافية. وتنتهي هذه العملية عندما لا تعد هناك حالات أخرى متعارضة. وعندئذ يكون من الممكن صياغة التعميمات.[28]

يرتبط نمط التفكير العلمي الاستنباطي والاستقرائي بشكل مباشر بالفرضيات، باعتبار أنّ صياغة الفرضية في البحث العلمي بشكل عام، يندرج إمّا ضمن المقاربة "الفرض استنباطية" (Hypothéco-déductive) وبالتالي يتم التصريح بعلاقات بين مفاهيم، ثم يتم التحقق منها من خلال الوقائع هل هي صحيحة أم لا. أو يندرج ضمن المقاربة الثانية، أي " الفرض استقرائي" (Hypothéco-inductive)، أين يتم التركيز على الوقائع والصعود نحو مبادئ أو مفاهيم او نظريات.

هذا يتوقف على اختيار الباحث، في اتباع نمط التفكير النازل من النظرية إلى الميدان، أو نمط التفكير الصاعد من الميدان إلى النظرية. لأن الأمر سوف يختلف كلية. النمطان لا يتعارضان فيما بينهما، لكن كل نمط له أهدافه الخاصة، إجراءاته ومناهجه وأدواته في التحليل. والشكل الموالي يمثل اتجاه كل نمط.

Journals.openeditioin.org. 20pages.

[27] جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الأول، تر، محمد الجوهري وآخرون، ط1،

[28] نفس المرجع.

الاستنباط Déduction	الاستقراء Induction
النظرية ↓ الملاحظة	النظرية ↑ الملاحظة

الشكل (04): يبين اتجاه أنماط التفسير العلمي

الدرس السادس: المنهج العلمي La Méthode Scientifique

ماذا يعني المنهج؟

في اللغة، النهج والمنهج والمنهاج بمعنى واحد وكلها ألفاظ تشير إلى الطريق البين، الواضح، الذي يوصل إلى الغاية المرجوة بسهولة ويسر. ويعود أصل هذه الألفاظ في اللّغة إلى الجذر، نَهَجَ وأَنْهَجَ بمعنى وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً. جاء في التنزيل الحكيم قوله تعالى: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" (المائدة: 48)، والنهج هو الطريق المستقيم، والمنهاج هو الطريق المستمر. وطريق ناهجة أي واضحة.[29] وفي حديث العباس: لم يمت رسول الله صلى الله عليم وسلم حتى تركّكم على طريق ناهجة أي واضحة بينة. ونهجت الطريق :أبنته وأوضحته. يقال اعمل على مانهجته لك. ونهجت الطريق: سلكته والنهج في القاموس المحيط للفيروز أبادي هو الطريق المستقيم وهو في المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية، "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة".

في الاصطلاح : وعلى الرغم من أنّ لفظة "منهج" مجردة لا تخرج عن مدلولاتها اللّغوية، التي هي: الطريق، والسبيل،.. لكن بإضافته إلى البحث لتصبح "منهج البحث" تصير حاملة لدلالة علمية جديدة، تعود في نظر الكثير من الدارسين إلى القرن السابع عشر الميلادي، الذي شهد جهود كل من "فرانسيس بيكون" و"كلود بيرنار" وغيرهما، من الذين ربطوا بين منهج البحث والتجربة ربطا مصطلحيا. فأخذت لفظة "منهج" دلالة جديدة تعني: "الطرق المؤدية إلى كشف الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة[30]. ويلخص محمد سعيد فرح هذا التعريف ضمن كتابه، لماذا؟ وكيف تكتب بحثا اجتماعيا، بقوله: "المنهج هو المنطق الذي يقوم عليه البحث، وكيف ندرس المشكلة"[31].

تستخدم لفظة "المنهج" ضمن قاموس البحث العلمي لدينا كناطقين باللغة العربية كترجمة للكلمة الأجنبية (La Méthode)، بمعني الطريق أو الأسلوب والكيفية التي يصل بها الباحث أو العالم إلى نتائجه..[32]

جاء ضمن إحدى المحاولات أنّ ديكارت عرّف المنهج بقوله: "أنا أعني بالمنهج قواعد مؤكدة بسيطة إذا رعاها الإنسان مراعاة دقيقة، استطاع أن يصل بذهنه إلى اليقين."[33]

وجاء في مؤلف لـ **عمر أكتوف**، أنه من أجل ادراك الأهمية القصوى للمنهج في العلم، يكفينا أن نذكر بأن كل فرع أو حقل يريد أن يستقل بذاته، ينبغي أن يتوفر على موضوع خاص يتولى دراسته والاهتمام به، ومنهج من أجل البحث في هذا الموضوع. وفي هذا الإطار يعرف المنهج على أنه "المسار المنطقي الذي يتبعه العلم، اي مجموع الإجراءات الخاصة المطبقة كي يكون مسار البرهنة والتنظير واضح ولا يقبل الجدل."[34] ويستعرض في ضوء هذا التعريف أنواع المناهج كما يلي:

المنهج الاستقرائي، المنهج الاستنباطي، المنهج التحليلي، المنهج العيادي، المنهج التجريبي، والمنهج الاحصائي.

في السياق الفلسفي يمكننا قراءة كلمة "المنهج" على عدة معاني ودلالات :

عند افلاطون و أرسطو استخدمت كلمة منهج بمعنى البحث والمعرفة أي الغاية من البحث والوسيلة إليها في نفس الوقت.

---

5 عبد الله بن حلفان بن عبد الله العايش، أخلاقيات البحث العلمي الاجتماعي في ضوء الفكر الإسلامي، جامعة أم القرى، كلية المعلمين، قسم التربية.

[30] محمد بابا عمي، مقاربة في فهم البحث العلمي، دار وحي القلم، ط1، دمشق، 2014، ص. 51

[31] نفس المرجع.

[32] علي معمر عبد المؤمن، مرجع سبق ذكره، ص. 12

[33] عثمان أمين، ديكارت، سلسلة أعلام الفلسفة، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الخامسة، 1965، ص.91

[34] Omar AKTOUF, Méthodologie des Sciences sociales et approche qualitative des organisations Une introduction à la démarche classique et une critique, p.27

وبعدها استخدم اللفظ ليشير إلى طائفة من القواعد العامة المصاغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم. واعتبر المنهج لدى المناطقة كجزء من أجزاء المنطق الأربعة وهي: التصورات، الحكم، البرهان و المنهج.
ومع بيكون وديكارت زاد الاهتمام بالمنهج إما باعتباره طريقا في الكشف عن الحقيقة في حالة الجهل بها أو طريقا للبرهنة عليها للآخرين في حالة العلم بها. ومن هنا استخلص أن هناك نوعين من المنهج أحدهما للكشف عن الحقيقة ويسمى منهج التحليل، والثاني خاص بتعليم الحقيقة بعد كشفها ويسمى بمنهج التركيب.
ضمن الكتب والمراجع المتخصصة في مناهج وطرق البحث العلمي عموما والبحث الاجتماعي على الخصوص يمكننا أن نطالع عدد لا محدود من التعاريف التي يسوقها المؤلفون كل من وجهة نظره وتخصصه بخصوص المنهج ، وعلى اختلافها وتنوعها من حيث الصياغة إلاّ انها تتفق من حيث المبدأ على السياق الدلالي العام الذي نشأ فيه اللفظ و تواترت ضمنه الكلمة. حتى أصبحت محطة إجماع بين جمهور المشتغلين بالعلم والمهتمين بالبحث العلمي ممارسة وتدريسا، بأنّه، أي المنهج هو الطريق الذي يتخذها الباحث نحو الإجابة على الأسئلة المطروحة والكيفية التي يستعين بها من اجل الوصول إلى الحل بخصوص المشكلة موضوع البحث. فإذا كان هذا الطريق يعتمد على واقع الظاهرة كما هي من خلال الملاحظة وجمع المعطيات المتعلقة بها ومقارنتها وتجريبها والتثبت منها بعيدا عن الأساطير والخرافة والأفكار المسبقة والأحكام القيمية والمعارف التي تصنعها مختلف السلط الدينية والسياسية والتقليدية، فهو طريق (منهج) علمي.

من المتفق عليه ابستمولوجيا، قيام أي علم وظهوره في الحقل المعرفي مشروط بالمنهج أكثر إلى جانب موضوع أو طائفة من وقائع يدرسها. بل إنّ "بيرسون" يذهب إلى أنّ وحدة كل علم تستند إلى المنهج لا إلى الموضوع، فليست الوقائع في نظره هي في ذاتها من يخلق العلم، وإنما المنهج الذي بواسطته تعالج تلك الوقائع.

وعبّر البعض عن المكانة والأهمية التي يحظى بها المنهج العلمي في تطور العلم وتقدم نتائج ومخرجات البحث العلمي عندما قال: " العبرة في العلوم الاجتماعية بالمناهج وليس بالنتائج". في إشارة إلى أنّ القيمة العلمية للبحث تكون عادة مرتبطة بمدى الالتزام بقواعد المنهج العلمي والصرامة في تطبيق إجراءاته. فإذا تحقق هذا لا تهم بعدها إن كانت النتائج مرضية أم غير ذلك.

إذا كان من الضروري أن نذكر بالتلازم والترابط القوي بين المنهج العلمي والمعرفة العلمية، فهذا يعني قولنا أنّ الإنسان تمكّن من المعارف العلمية وحصل عليها منذ اللحظة التي اختار فيها المنهج العلمي طريقا له في محاولة فهم وتفسير الأشياء. إنّ تاريخ العلم والمعرفة العلمية هو نفسه تاريخ المنهج العلمي. تاريخ الإنسان وهو يحاول دوما أن يطور من أدائه في التفكير معتمدا على العقل ومركزا على ما تمده ملاحظته وأحاسيسه.

لمحة عن تاريخ المنهج العلمي:

يعتقد الكثير من المهتمين بموضوع المنهج العلمي، أنّ هذا الأخير باعتباره جملة من القواعد والضوابط الصارمة التي ينبغي أن يستند إليها في الوصول إلى المعرفة بحقائق الأشياء وفهم وتفسير الظواهر، الطبيعية منها على وجه الخصوص، لم يظهر إلا مع مطلع عصر النهضة الأوروبي، أي عندما بدأ التفكير يتحرر من سلطة الغيبيات وهيمنة الكنيسة ورجال الدين والانعتاق من الأفكار الكلية والمعيارية والقيمية. إلاّ أن أصحاب هذا الرأي أيضا لا ينكرون وجود إرهاصات وملامح المنهج العلمي بهذا المفهوم وهذه الدلالة لدى العلماء والمفكرين القدامى المسلمين وغيرهم.

إنّ تاريخ العلم هو تاريخ التفكير البشري الذي ما فتئ يبحث عن أنسب الطرق وانجعها في فهم وتفسير الأشياء واكتشاف الحقائق. إنه تاريخ الإنسانية جمعاء، وحصيلة لجهود كافة الحضارات ولهذا نقول اليوم أن من أخص خصائص العلم والمعرفة العلمية، التراكم. تفيد كلمة التراكم ببطلان أي دعوة إلى اختزال تاريخ تطور الفكر البشري وقيام الطرق والأساليب العلمية في التفكير والبحث عند حدود دائرة حضارية واحدة أو لدى نوع بشري معين دون غيره.

"إنّ الذين ينسبون إلى فرانسيس بيكون الإنفراد بتأسيس العلم الحديث على أساس من التجربة والإستقصاء، ويردّون إليه كلذ الفضل في تاسيس علم المناهج، يظلمون بيكون، ويظلمون الحقيقة العلمية كذلك"[35]

نعلم أنّ رسالة بيكون في المنهج تتلخص في هدفين: تحويل العلم إلى منفعة بني الإنسان وإقامة العلم على أساس الاستقراء بعد أن كان لزمن طويل قائما على التقدير والقياس لتفسير الطبيعة وتسخيرها بمطاوعة قوانينها.

"وكلا هذين الغرضين لم يبدعهما بيكون في زمانه كل الإبداع – يقول العقاذ- بل جاء عمله في كل منهما بعد تمهيد وارتياد واستطراد"[36]. والصواب أن نقول: نعم قد أبدع بيكون في هذه المناهج أيما إبداع، لكنه لم يبدعها من العدم. ذلك أنّ فضله على المنهج التجريبي بالخصوص لا ينكر سيما لو نظرنا إلى ما كانت عليه أوروبا قبل عصر الرشد. وإذا ما اردنا أن نجيب على السؤال، هل بيكون هو مؤسس علم المناهج؟ فيفترض أن نبين دلالة هذه العبارة وما معناها. فإذا قصدنا بها اعتماد منهج الاستقراء في التجربة البحثية عوضا عن الاستنباط، فإنّ هذا ممّا لا يسلم لبيكون، ولا لغيره من العلماء المعاصرين، ذلك أنّ هذا النوع من الاستقراء قد استعمل لدى الأصوليين المسلمين بدقة ووضوح، ولا ندعي أنهم هم من ابتكروه، فلا يتصور أن الحضارة الفرعونية وما خلفته من معالم حضارية عجيبة، كانت في منأى عن الاستقراء العلمي، حتى وإن لم تدوّن الخطوات بطريقة نظرية، كما فعل الفلاسفة الغربيون المعاصرون.

أما العلماء المسلمون فقد تناولوا قواعد المنهج بفلسفة علمية تنم عن إدراك ووعي كبيرين، فأفاضوا في الحديث عن خصائصه وشروطه، ولهذا جاءت مراحل الطريقة الاستقرائية، من ملاحظة وتجربة وفروض مدعمة بالمواصفات العلمية، بالقدر الذي يتناسب ومعطيات ذلك العصر. وقد تنبه هؤلاء العلماء إلى أنّ الاستقراء ليس إلاّ مرحلة من مراحل البناء المنهجي، فمارسوا مناهج اخرى، مثل: القياس والتمثيل، والمنهج الفرضي و المنهج الرياضي.[37]

وفي هذا السياق طبق الحسن بن الهيثم منهج القياس في مجال الضوء ومارس فريق من العلماء في مجال الطب والفلك منهج التمثيل، ثم طوّر الفكر الإسلامي المنهج الرياضي ليصبح أداة قادرة على مسايرة البحث العلمي في شتى المجالات، مثل الفلك والميكانيك والضوء. لكن الإنجاز الأهم يتمثل في تحديد خطوات البحث العلمي لأوّل مرة في تاريخ الفكر البشري، إذ حدّدها جابر بن حيان بأربع خطوات هي:

- الملاحظة العيانية المباشرة للظاهرة أو الحدث.
- تم الانتقال إلى الفرض العلمي، الذي يعتمده الباحث لتفسير الظاهرة.
- اختبار الفرض بالتجربة العلمية التي هي عند جابر مصدر كل معرفة حقة.
- فإذا استقام الفرض بالتجربة انتقل الباحث إلى الخطوة الرابعة الأخيرة حيث تتم صياغة الفرض قانونا أو مفهوما منطقيا، أو معطى ذهنيا، يجسد الظاهرة موضوع البحث. أما إذا لم يستقم الفرض في التجربة استبدل الباحث به فرضا آخر فآخر يعرضه على التجربة حتى يستقم له فرض يصل به إلى المعرفة الحقة.

---

[35] محمد بابا عمي، مقاربة في فهم البحث العلمي، دار وحي القلم، الطبعة 1، دمشق سوريا، 2014، ص. 31.

[36] نفس المرجع، ص.32.

[37] نفس المرجع، ص. 34.

أول واجب عليك: أن تعمل، وتجري التجارب، لأنّ من لا يعمل ويجري التجارب لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان. فعليك يا بني بالتجربة لتصل إلى المعرفة.

جابر بن حيان

الدرس السابع: الموضوعية والذاتية في المنهج العلمي

Objectivité, Subjectivité en Méthodologie

تعد الموضوعية بما هي خاصية أساسية للعلم والمعرفة العلمية، مطلبا وشرطا ضروريا ينبغي أن يتحقق به البحث ويلتزم به الباحث في أي حقل من حقول العلم. وتعد الذاتية الطرف النقيض للموضوعية. فعلى قدر إحراز الباحث للموضوعية في نشاطه العلمي وتفكيره للأشياء والظواهر، بقدر نجاحه في تجنب الذاتية والوقوع في شراك التحيز لكل ما من شأنه أن يجرد البحث من قيمته العلمية.

إن مفهومي الموضوعية والذاتية في العلم بشكل عام (الطبيعي والاجتماعي) يعكسان الشكل الذي تكون عليه العلاقة بين الباحث باعتباره ذاتا عارفة وبين موضوع المعرفة. ففي العلوم الطبيعية كما هو معروف يكون الباحث في وضع مستقل ومعزول عن الموضوع الذي يدرسه ويبحثه. في حين في العلوم الاجتماعية، الباحث يعدّ جزءا من موضوع بحثه. ويقع في قلب الحدث الذي يحاول تحليله ودراسته. إنه ملاحظ بكسر الحاء وملاحظ بفتح الحاء.

لهذا السبب يجد الباحث في العلوم الاجتماعية صعوبة كبيرة في تحقيق الموضوعية، بينما هي ميسرة وسهل بلوغها في حالة العلوم الطبيعية.

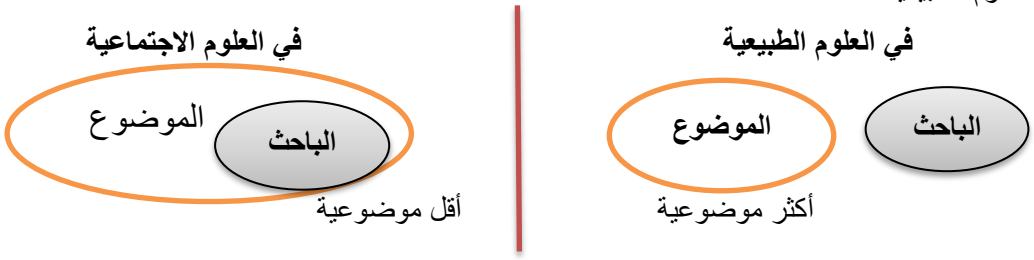

الشكل (05): شكل العلاقة بين الباحث و موضوع البحث

إلى جانب طبيعة العلاقة بين الباحث وموضوع بحثه والتي هي جدّ متداخلة في حالة العلوم الاجتماعية، هناك الكثير من الأسباب التي تطرح مزيدا من المصاعب أمام الباحث وتحيل دونه ودون تطبيق متطلبات المنهج العلمي بأريحية وسهولة على الأقل كما هو عليه الشأن في العلوم الطبيعية. وهي في معظمها أسباب متعلقة بخصوصية الموضوع نذكر منها:

الظاهرة الاجتماعية معقدة ومتعددة المتغيرات: فهي متعلقة بالأفراد والجماعات من البشر وهؤلاء يختلفون فيما بينهم من الناحية النفسية والاجتماعية والطبيعية ومتأثرون في نفس الوقت بالظروف الثقافية والاقتصادية التي يعيشون ضمنها.

صعوبة ملاحظة الظاهرة الاجتماعية: ويقصد بالملاحظة هنا الملاحظة العلمية المباشرة. فالظاهرة الاجتماعية لا تثبت على حال ولا تعرف الاستقرار، فهي دائمة التغير ومستمرة في التحول، الأمر الذي يجعل من الصعب الإحاطة بكافة جوانبها ومستوياتها وأبعادها. والصعوبة في الملاحظة تترتب عنها مباشرة الصعوبة في وصفها وقياسها.

الصعوبة في التجريب على الظاهرة الاجتماعية: يصعب إخضاع الظاهرة الاجتماعية للتجربة بالنظر إلى أنّ السلوك البشري والفعل الاجتماعي مفعمان بالمشاعر ومثقلان بالأحاسيس والعواطف وهي كلها عناصر غير قابلة للضبط والوصف والقياس والتكميم على الأقل كما هو الشأن بالنسبة لموضوعات العلوم الطبيعية.

غياب الدقة والوضوح في مفاهيم ومصطلحات العلوم الاجتماعية: باعتبارها أدوات ضرورية في البحث والتحليل. وهو مشكل طالما أرق الباحثين في هذا الحقل.

صعوبة الوصول إلى قوانين دقيقة وثابتة. وهذا راجع إلى غياب الاطراد الطويل الذي يصلح أن يكون اساسا للتعميمات بعيدة المدى (القوانين والنظريات)

الظاهرة الاجتماعية لا تخضع لمبدا الحتمية بالمعنى الذي هو عليه في العلوم الطبيعية لأن الظواهر الاجتماعية محور اهتمامها الإنسان في تجمعه وهذا الأخير يكون عادة رهين الظروف المحيطة به والتطلعات التي يصبو إليها والمصالح التي يسعى إلى تحقيقها. فهو يغير من افعاله وسلوكه وفق هذه المعطيات.

ترتبط الموضوعية ارتباطا وثيقا بقضية العلم والقيم، وهي القضية التي شغلت حيزا وأثارت جدلا بين المشتغلين في العلوم الاجتماعية بشكل عام. فالجدل قائم حول: هل هناك علم خال من القيم أم أن القيم تلعب دورا في توجيه البحث العلمي وبالتالي توجيه العلم ذاته؟

وتعني الموضوعية في أبسط صورها أن يتم التعامل مع الظواهر الاجتماعية على أنها كيانات مستقلة تماما عن ذات الباحث، ومحاولة تجنب كل الاعتبارات الانفعالية والمواقف الذاتية. وإذا لم يتمكن الباحث من التخلص من مثل هذه الاعتبارات، فإنه يصبح عاجزاً عن معرفة الأسباب الحقيقية للظاهرة المدروسة.

ومن هنا تتضح أهمية التزام الباحث في العلوم الاجتماعية بمتطلبات الموضوعية التي تتجلى في:

أولاً، الابتعاد عن الأحكام الذاتية، والتركيز على أن الظواهر الاجتماعية مستقلة بذاتها وتتصف بالتلقائية.

ثانياً، الالتزام بالحياد الأخلاقي المهني بقدر الإمكان.

ثالثاً، الابتعاد عن الآراء والأحكام المسبقة في دراسة الظاهرة الاجتماعية، الذي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التعامل مع الظواهر الاجتماعية ككيانات مستقلة عن شعور الباحث الداخلي.

رابعا، الالتزام بملاحظة الحقيقة الاجتماعية كما هي لا كما يجب أن تكون عليه، وتفسيرها علمياً والكشف عن العلاقات الوظيفية المتداخلة بين الظواهر الاجتماعية.

إلا أن هناك الكثير ممن يعتقدون أنه مهما كان مستوى تدريب الباحثين وحرصهم على الدقة والموضوعية، يبقى أن كل باحث هو عبارة عن خلاصة لتاريخه وماضيه والأحداث التي مرت عليه. لذا فإنه يتأثر بالبيئة التي يتعامل معها ويتفاعل معها بطريقة فريدة من نوعها. وعليه، فإن الموضوعية التامة مطلب يستحيل تحقيقه. لذا، وبهدف التقليل من احتمالية التحيز المترتبة عن وجود باحث يرصد ظاهرة ما بمفرده، يفضل توظيف أكثر من باحث لملاحظة الظاهرة نفسها، إذ أن الاعتماد على أكثر من ملاحظ في دراسة ظاهرة ما كفيل بالحد من ظهور ذاتية الباحث في تلك الدراسة، ذلك أن ظهور ذاتية الباحثين، في حالة تعددهم، سيؤدي بالضرورة إلى تضارب تقارير الملاحظين وهو ما يشكل إشكالية منهجية. وعليه فإن اللجوء إلى تعدد الملاحظين كفيل بالحد من هذه الإشكالية المنهجية.